العرب
الثلاثاء 2021/10/26
السنة 44 العدد 12221

المقاومة ليست لنا بل علينا

فاروق يوسف
كاتب عراقي

لا يمكن لأي دولة تحرص على أمنها واستقرارها أن توافق على وجود سلاح منفلت على أراضيها. فالسلاح هو السلاح بغض النظر عن النوايا المبيّتة. في أحسن أحواله فإنه يقتل صديقا عن طريق الخطأ.

وحين يهدد حسن نصرالله بمقاتليه المئة ألف، فإنه لا يخرج عن سياق ذلك المنطق. فالرجل لم ينه بعد مهمّته التي كان الكثير من اللبنانيين يعتقد أنها مرتبطة بتحرير الأراضي اللبنانية المحتلة.

الضريبة التي يجب أن يدفعها اللبنانيون لا تقف عند حدود أوضاعهم المعيشية المزرية أو هلاك مدخراتهم المالية أو انسداد الأفق السياسي أمام دولتهم التي لم يعد يثق بها أحد.

ما انتهى إليه حزب الله لا يمكن التراجع عنه بمجرد اعتراض أطراف هم من وجهة نظره أعداءه المؤجلين الذين يجب أن ينهوا خصومتهم بالاستسلام له. حزب الله هو صاحب الكلمة الأخيرة فهو القابض على السلاح والمكلف إيرانيا بمواجهة العالم من لبنان.

الحكاية لا تقتصر على لبنان، فكرة مواجهة العالم وجدت طريقها سالكة إلى الواقع، فإيران لا تريد لحرب اليمن أن تنتهي ولا تريد لأصوات الناخبين في العراق أن تهزم الحشد الشعبي

الحكاية لا تقتصر على لبنان. ففكرة مواجهة العالم التي هي فكرة إيرانية وجدت طريقها سالكة إلى الواقع. ذلك لأن الحوثيين يواجهون العالم من اليمن والحشد الشعبي من العراق. وليس أدل على ذلك من التصريح الأممي الذي يفيد بأن إيران لا تريد لحرب اليمن أن تنتهي كما أن إيران لا تريد لأصوات الناخبين في العراق أن تهزم الحشد الشعبي.

من هذا المنطلق لا ينبغي النظر إلى انفجار مرفأ بيروت (آب/أغسطس 2020) باعتباره المقصلة التي ستقطع رأس حزب الله وهو المتهم الرئيس والمستفيد الوحيد والمعترض الوحيد على نتائج التحقيق.

صحيح أن تلك الكارثة قد رسمت الخطوط واضحة. هنا يقف حزب الله وهناك يقف الشعب اللبناني. هنا الجبهة التي تديرها إيران من أجل هيمنتها وهناك الجبهة التي يديرها اللبنانيون من أجل الحفاظ على مصيرهم. غير أن ذلك الفصل لن يعيق مسعى حزب الله إلى إخضاع الآخرين.

وليس غريبا أن تكون الشعارات المرفوعة في صنعاء وبيروت وبغداد واحدة. المقاومة مقابل الرفض الشعبي للهيمنة الإيرانية. فعلى مستوى الحراك الشعبي المناهض للمشروع الإيراني لا ترد كلمة المقاومة، فهي في حقيقة تصريفها الواقعي باتت من غير معنى إلا إذا كان المقصود بها مقاومة الاحتلال الإيراني.

حزب الله يحتل لبنان بالوكالة. وهو ما يفعله الحوثيون في اليمن وما يحاوله الحشد الشعبي في العراق. ليس هناك ما يمنع من التصريح بأن هناك احتلالا إيرانيا. وإذ يهدد حزب الله الآخرين بسلاحه فإنه يعمل على تذكيرهم بتلك اللحظة المفصلية في تاريخ بلدهم المحتل.

وإذا أردنا الإنصات إلى صوت الحقيقة فإن كل محاولات الأمم المتحدة لإنهاء النزاع في اليمن سوف تؤدي إلى التفاوض مع إيران كونها تملك المفتاح الأخير. وفي ذلك إنما يعلن المجتمع الدولي عن هزيمته.

سؤال حزب الله الدائم الموجه إلى دول بعينها "إذا كنتم تريدون مساعدة الشعب اللبناني على الخروج من أزمته لمَ لا تذهبون إلى الضاحية الجنوبية؟ سيكون السيد في استقبالكم هناك". قد تفضل تلك الدول الذهاب إلى إيران من أجل أن يأكل الشعب اللبناني لقمته التي صارت أشبه بالسمّ. ذلك لأن كل ما يقوله اللبناني يمكن أن يعود إليه على شكل رصاصة. فهناك مئة ألف مقاتل هم على أهبة الاستعداد للقنص.

عبر العشرين سنة الماضية فرض حزب الله بلغة متعالية مفهوم المقاومة على اللبنانيين باعتباره البديل لكرامتهم وحريتهم وكل أساليب العيش التي يتبعونها. كانت المقاومة دائما أفضل منهم وستظل كذلك.

يهين حسن نصرالله اللبنانيين في كل خطاب من خطاباته. إنه يذكّرهم بأن دولته هي التي تحفظ دولتهم من الانهيار والزوال. كما أنه لا يرى فيهم شركاء مؤهلين للحكم وأيضا لا يرى فيهم ما يبشّر بإمكانية التفاعل مع الحرب الدائمة فهم من وجهة نظره لا يشعرون بالخطر الإسرائيلي. وفي النقطة الأخيرة لا يمكن سوى المصادقة على كلامه. فاللبنانيون يعتبرون الاحتلال الإيراني لبلدهم أخطر من الوجود الإسرائيلي على حدودهم الجنوبية.

رسالة الشعب اللبناني واضحة "عزيزي نصرالله لا تشكل إسرائيل خطرا على مصيرنا مثلما تفعل إيران". أفي ذلك ما يشكل سببا لتوجيه اللوم إلى اللبنانيين؟ لقد وصلت الرسالة كاملة. ذلك ما سبب ذعرا لنصرالله. وهو ذعر لا يمكن لإيران أن تطيقه في انتظار بدء الجولة الجديدة من مفاوضات النووي.

لا فرق بالنسبة إلى اللبنانيين إن جنّ جنون نصرالله أو ألقى خطاباته باعتباره مكلفا من الولي الفقيه فإن الهدف سيكون نفسه. المقاومة عليكم لا لكم.

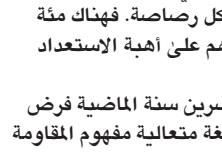

حميد زناز
كاتب جزائري مقيم في فرنسا

إيريك زمور.. الشبح المرعب الذي يحوم حول الإليزيه!

ماذا يريد إيريك زمور هذا الصحافي المشاكس والكاتب الناجح الذي تبلغ مبيعات كتبه مئات الآلاف والمنحدر من أصول جزائرية يهودية، والذي يزعزع اليوم الطبقة السياسية الفرنسية، من يمينها إلى يسارها، ويفرض نفسه على وسائل الإعلام المستقلة التي لم تعد تستطيع التطرق لموضوع الانتخابات الرئاسية القادمة دون ذكر اسمه. أما وسائل الإعلام التابعة للقطاع العمومي، فلا تذكر اسمه ولا تستضيفه على الإطلاق بأمر من لوبيات أيديولوجية.

ما هي الأفكار التي يريد أن يصل عبرها هذا الشبح "المخيف" إلى قصر الإليزيه؟ ولماذا ينوي الكثير من الفرنسيين التصويت لصالحه، إذا ما صدقنا استطلاعات الرأي الأخيرة التي تتكهن بوصوله إلى الدور الثاني، وتحدي الرئيس الحالي إيمانويل ماكرون في انتخابات شهر مايو؟

لئن بدت أقوال زمور جديدة وجريئة فهي في حقيقة الأمر قديمة قدم الحركة اليمينية المتطرفة في فرنسا. أصبحت صادمة بسبب تناقلها عبر وسائل التواصل الاجتماعي وبسبب المبالغة في جرّ زمور إلى المحاكم. وما أعطى لتلك الأفكار قوة وشعبية هو شخصية الرجل الهادئة، ولغته الفرنسية المتماسكة، وعودته المتكررة إلى ذكر أحداث التاريخ الفرنسي، وتطعيم خطابه بمقولات رجالات فرنسا وكتابها وفلاسفتها.

وما يضفي على حديثه نوعا من السلطة العلمية، مقارنة بالصحافيين والسياسيين الآخرين، معرفته العميقة بالإسلام وتاريخه وانتقاده الشديد للإسلاميين وعلى رأسهم الإخوان المسلمين، إذ فضح مشاريعهم بجرأة واعتبرهم السمّ القاتل الذي يسري في عروق الدولة الفرنسية.

يمكن تلخيص خطاب زمور في قضايا عامة، أهمها أن فرنسا تسير في طريقها إلى الانهيار بسبب استمرار سياسة استبدال الشعب الفرنسي بالأجانب بتواطؤ النخب المستقيلة. من كانوا مستعمرين من العرب والأفارقة بالأمس هم الذين يستعمرون فرنسا اليوم. ويرى زمور أن مقدمات الحرب الأهلية التي تجري في ضواحي باريس، في سان دويني بالتحديد، هي المستقبل الذي ينتظر فرنسا إذا لم يتحرك الفرنسيون للدفاع عن بلدهم.

لا يملّ زمور من القول إنه لا يمكن فعل أي شيء من ذلك دون وجوب الاعتراف بأن الإسلام دين لا يتوافق مع قيم الجمهورية الفرنسية، لأنه دين ودولة في آن، وتبعا لكل هذا يجب وضع حد للهجرة تماما. ولا ينبغي إعطاء أدنى اهتمام للتشريعات الوطنية والأوروبية التي تحدّ من سيادة الشعب الفرنسي على أرضه وأسبقيته.

ويذهب زمور حتى إلى المطالبة بإلغاء حق الجنسية الذي اكتسب عن طريق الولادة على التراب الفرنسي، في حالة ارتكاب جريمة فظيعة. وإلغاء قانون لمّ الشمل، بمعنى حظر جلب الزوجة أو الزوج أو الأولاد من الخارج للعيش في فرنسا. علاوة على تصعيب الحصول على حق اللجوء، ووجوب فرض الاندماج الكامل على المهاجرين الذين حصلوا على الجنسية الفرنسية.

ولا يضيّع زمور أي فرصة أمام ميكروفون أو كاميرا دون احتقار النخب السياسية والإعلامية والثقافية، بسبب ما يسمّيه عمالتها ونكرانها لما يحدث على أرض الواقع من اعتداء على فرنسا من طرف الأجانب المسلمين منهم على وجه الخصوص.

وفي الحقيقة لم يهبط زمور من السماء بل هو نتيجة لتقاطع تأثيرين كبيرين: الهوية القومية التي تبلورت في نهاية القرن التاسع عشر، والنزعة الشعبوية الحالية التي تنامت مع دونالد ترامب في الولايات المتحدة، وفيكتور أوربان المجري في أوروبا وغيرهما.

ليس صدفة أن يكون عنوان كتاب زمور الصادر مؤخرا "فرنسا لم تقل كلمتها الأخيرة"، وكأنه صدى لكتاب رئيس حزب الجبهة الوطنية السابق جان ماري لوبان المعنون: "وتعود فرنسا" والمنشور سنة 1985.

والقومية كشعور وعقيدة نشأت مع الثورة الفرنسية وحملها اليسار الجمهوري الليبرالي لفترة طويلة إلى درجة أصبحت دعوة عالمية. ولكن في نهاية القرن التاسع عشر تبلورت قومية ذات طبيعة مختلفة، تشترك مع الأولى في وطنيتها القوية مصحوبة ببعد احتجاجي ومعتمدة على شعبوية باحثة عن "منقذ" مع انتقاد شديد للنظام البرلماني، ممزوج بتمجيد للهوية وبعداء صريح للأجانب ورؤية لفرنسا مطهّرة من اليهود والبروتستنت والماسونيين. وهي قومية يتبناها اليوم اليمين المتطرف بكل تنويعاته، تركت بصماتها على النقاش السياسي الفرنسي وتعاود الظهور باستمرار كلما كان البلد يعيش مشاكل وأزمات أو محن.

ما هي الأفكار التي يريد أن يصل عبرها هذا الشبح «المخيف» إلى قصر الإليزيه؟ ولماذا ينوي الكثير من الفرنسيين التصويت لصالحه إذا ما صدّقنا استطلاعات الرأي التي تتكهن بوصوله إلى الدور الثاني

وقد تم طرح فكرة تهديد المهاجرين للهوية الفرنسية بنفس الأسلوب والكلمات من طرف حزب الجبهة الوطنية بزعامة جان ماري لوبان، والذي تشرف عليه اليوم الابنة مارين لوبان، التي حاولت الانتقال به إلى مرحلة أخرى أقل راديكالية ونزع صفة التطرف الزائدة عنه، وذهبت حتى إلى تغيير اسم الحزب إلى "التجمع الوطني".

ومع سطوع نجم زمور كمثقف احتجاجي مناهض للنخب السياسية المحترفة وآتٍ من خارج الفضاء السياسي التقليدي، وفي تناغم مع موجة "ارحلوا جميعا" التي مسّت أوروبا والعالم بأسره في السنوات الأخيرة، كان من الحتمي أن تصبح مارين لوبان أمامه مجرد امرأة سياسية من الحرس القديم يجب أن ترحل كغيرها.

وعلى الرغم من أنه لم يفصح عن ترشحه للانتخابات الرئاسية بعد، إلا أن استطلاعات الرأي تضع إيريك، المثقف الآتي من ضاحية فقيرة، أحسن تمركزا من السياسية المحترفة مارين التي ورثت حزبا سياسيا عن أبيها، وقد يحرمها من الصعود إلى الدور الثاني اعتمادا على نفس الأفكار التي اجترتها وأبوها منذ زمن طويل

وعلى أرض الواقع جلب زمور الكثير من إطارات ومناضلي "التجمع الوطني"، وينتظر أن يلتحق أغلب التجمّعيين بالمرشح زمور، وهو ما شجعه للقول دون تردد إن مدام لوبان لا يمكنها الفوز أبدا.

وهي دعوة إلى ما تبقى من مناصريها للالتحاق به.

وإذا ما استمرت الأمور على هذه الديناميكية فلن يجمع التجمع الوطني في الأيام القادمة إلا مارين وحاشيتها المقرّبة وحتى الأب المؤسس جان ماري لوبان صرح بأنه سيصوت لصالح زمور.

أما اليمين "غير المتطرف" الممثل بالجمهوريين فلا يزال غارقا في تمزّقات زعمائه مثل اليسار، وهو ما يفتح الطريق لبقاء ماكرون في الإليزيه لعهدة ثانية. الأصوات التي منعت مارين لوبان وأباها من الوصول إلى الحكم في فرنسا هي التي ستمنع إيريك زمور أيضا.